هل أنت من المتوكلين على الله تعالى

أزهري أحمد محمود

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار ابن خزيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى ولي من تولاَّه. والقريب ممن ناجـاه. والصـلاة والسـلام على النـبي المصطفى. وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى. وبعد:

أخي المسـلم: الفـزع إلى ملك الملـوك؛ هو شـــعار المؤمـــنين الصَّـــادقين.. وغاية المخلصين..

فهم قد علمــوا أن ربهم تعــالى قــريب ممن اعتصم به.. وولي من التجأ ببابه..

فاطمأنت نفوسهم إلى موعوده.. ووثقت بتأييده..

هذه محاسـبة أخـرى فلتقفها أيها العاقل مع نفســـك.. وســـؤال ينبغي أن تســـأله نفسـك: **هل أنت من المتـوكلين على الله تعالى؟!**

التوكل على الله تعـــــــالى! ذلك الأصل العظيم.. والعمل الجليل!

هل وقفت يومًا على معنى التوكل؟!

هل تأملت في حقيقته؟!

ما هو التوكل على الله تعـــــــالى؟! وبم عرَّفه العارفون؟!

قال شـقيق البلخي رحمه اللـه: «التوكل

طمأنينة القلب بموعود الله عز وجل».
وقـال الإمـام أحمد بن حنبل رحمه اللـه: «وجملة التوكل؛ تفـويض الأمر إلى الله جل ثناؤه، والثقة به».
وقال بعضهم: «التوكـل؛ التعلق بالله في كل حال».
وقيــل: «نفي الشــكوك والتفــويض إلى مالك الملوك».
أخي المسلم: ذلك هو التوكـل، ويـدور معنـــاه حـــول الثقة باللـــه، والطمأنينة بموعـــوده، وتفـــويض الأمر إليه تبـــارك وتعالى..
فهل سألت نفسك: إنْ خــرجتَ من بيتك هل تتوكل على الله؟
أرأيت إن عـــزمت على أمر من الأمـــور هل تتوكل على الله؟
أرأيت إن خـــــرجت في طلب رزقك هل تتوكل على الله؟
أرأيت إن نزلت بك المصائب هل تفـوِّض أمرك إلى الله؟
التوكل على الله عقيـــدة ضُـــعفت في قلـــوب الكثـــيرين ممن ملأ قلـــوبهم حب الدنيا.. والالتفات إلى الأسباب.

حتى أصبح هـؤلاء الغـافلون يربط الواحد منهم رزقه ونفعه وضُرَّه بالمخلوق!

قـال بشر بن الحـارث رحمه اللـه: «أما تستحي أن تطلب الدنيا ممن طلب الدنيا؟! اطلب الدنيا ممن بيده الدنيا».

وقـال عبد الله بن إدريس بن يزيد رحمه اللـــه: «عجبت ممن ينقطع إلى رجـــل، ولا ينقطع إلى من له السماوات والأرض!».

فتأمل في حالك أيُّها المســـــلم.. وفتش قلبك؛ هل تجد فيه أثرًا لهذا الأصل العظيم: (التوكل على الله؟!).

وعلامة التوكل الصادق؛ الذي يجــده أهل التوكل، هو كما قال الحسن البصـري رحمه اللــه، قــال: «إن من توكُّل العبد أن يكــون الله عزَّ وجلَّ هو ثقته».

فكيف ثقتك بالله تعالى؟!

فتِّش في جنبـات نفسك عن جـواب هـذا الســـؤال.. وحـــاول أن تقف على عتبـــات التوكل بصدق وإخلاص..

أخي المسلم: لقد دعـاك الله تعـالى إلى التوكل عليه وتفــويض أمــرك إليـــه.. وهي دعوة من ملك الملوك والفعَّال لما يريد!

قال الله تعالى: ﴿**إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْـذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُـــــرُكُمْ مِنْ بَعْـــــدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [آل عمران: 160].

وقـــال تعـــالى: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [المجادلة: 10].

وأمر الله تعـــالى نبيه ﷺ إذا عـــزم على شيء؛ أن يتوكل على الله.

قال الله تعالى: ﴿**فَـإِذَا عَـزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَـــــوَكِّلِينَ**﴾ [آل عمران: 159].

وأخـبرك الله تعـالى أنه كافيك أمـرك إذا توكلت عليه عز وجل.

قـــال الله تعـــالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ [الطلاق: 3].

وأخـبرك الله تعـالى أن التوكل عليه من صفات المؤمنين.

قـــال الله تعـــالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُـــونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِـــرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُـــوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آَيَاتُــهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [الأنفال: 2].

فهو تبـــارك وتعـــالى حيٌّ لا يمـــوت.. لا يعجـزه شـيء في ملكـه.. ومن توكل عليه

عزَّ وجل لم يحتج إلى غيره..

عن أبي قدامة الـرَّملي قـال: (قـرأ رجل هـذه الآيـة: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ فأقبل عليَّ سليمان الخواص فقـال: يا أبا قدامـة، ما ينبغي لعبد بعد هـذه الآية أن يلجأ إلى أحد بعد الله في أمـره، ثم قـال: انظر كيف قـال الله تبـارك وتعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ فأعلمك أنه لا يموت، وأنَّ جميع خلقه يموتون، ثم أمرك بعبادته فقال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ ثم أخبرك بأنه خبير بصير، ثم قال: والله يا أبا قدامة لو عامل عبد الله بحُسْن التوكل، وصدق النية له بطاعته، لاحتاجت إليه الأمراء فمن دونهم! فكيف يكون هذا محتاجًا ومولئه وملجؤه إلى الغني الحميد؟!).

أخي المسلم: هكذا فهم الصالحون التوكل؛ أن تفوِّض أمرك إلى الغني.. الـذي ليس كمثله شيء!

فإنَّ من فـوَّض أمـره إلى الله تعـالى لم ينقلب إلاَّ بخـير.. وما أحوجك أيُّها الضـعيف إلى نصر الله وتوفيقه وإعانته، فإنك إذا

وكلت أمــورك إلى الله تعــالى؛ فقد وكلتها إلى من لا يغفل ولا ينــام! وكلتها إلى من لا ينساك!

ولكن مع ســيطرة الغفلة على القلــوب؛ ترى الكثيرين بعيـدين عن تفـويض أمـورهم إلى الله تعالى! ومن جهلهم تراهم متعلقين بالأسـباب! يكـدح أحـدهم ليله ونهـاره وهو ناسٍ الاعتصام بربه تعالى والتوكل عليه!

قـال شـقيق البلخي: (لـكِّ واحد مقـام؛ فمتوكل على مالـــه، ومتوكل على نفســـه، ومتوكل على لســانه، ومتوكل على ســيفه، ومتوكل على ســـلطنته، ومتوكل على الله عز وجلَّ. فأما المتوكل على الله عز وجـل؛ فقد وجد الاســترواح، نــوَّه الله بـــه، ورفع قـدره، وقـال: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُـوتُ**﴾. وأمَّا من كـان مســتروحًا إلى غيره؛ يوشك أن ينقطع به فيشقى!).

فتأمَّل أخي المسلم في حـال الكثـيرين؛ تراهم بعيدين عن التوكل في أمورهم كلها!

إذا طلب الـرزق نسي الـرزَّاق ذا القـوة المتين! ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الـرَّزَّاقُ ذُو الْقُـوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ [الذاريات: 58].

وإذا مرض نسي النـافع عز وجـل! ﴿**وَإِذَا**

مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ [الشعراء: 80].

وإذا أحـاط به كيد الأعـداء نسي الناصر الغالب تبارك وتعالى! **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** [الطلاق: 3].

وإذا نزل به الضُّـر نسي كاشف الضر عز وجـل! **وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا** [الأحزاب: 48].

فكيف بمن هذا حاله أن يوفق؟!

عن أبي سـعيد الخـدري قـال: قـال رسـول الله : «**كيف أنعم وصـاحب القـرن قد التقم القـرن، واسـتمع الإذن؛ مـتى يـؤمر بـالنفخ فينفخ؟!**» فكأنَّ ذلك ثُقل على أصحاب النبي ، فقـال لهم: «**قولـوا: حسـبنا الله ونعم الوكيـل، على الله توكلنا**» [رواه الترمذي وغيره/ صـحيح الترمـذي للألبـاني: 2431].

سُـئل يحـيى بن معـاذ رحمه الله مـتى يكـون الرجل متـوكلاً؟! فقـال: «إذا رضي بالله وكيلاً».

وقال بعضهم: «مـتى رضـيت بالله وكيلاً، وجدت إلى كل خير سبيلاً».

وقال ابن القيم رحمه الله: «التوكل من

أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم».

فيا من نسيت الوكيل.. مالك الملك.. تبارك وتعالى.. بمن تعوَّضْتَ؟!

فكم من أناس نزلت بهم شدائد؛ فلما توكلوا على الله تعالى؛ انكشف.. ونزل الخير والفرج.

وكم من أناس ضاقت عليهم وجوه الحيل في طلب الرزق؛ فلما توكلوا على الرزاق عز وجل؛ فتح عليهم أنواعًا من خزائن رزقه.

لما نزل البلاء بالنبي ﷺ وأصحابه يوم أحد، وسمعوا بكرَّة المشركين عليهم مرة أخرى؛ لم يزيدوا على التوكل على الله تعالى؛ فأعقبهم الله تعالى النصر والظَّفَرَ..

قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: 173].

فكانت النتيجة: ﴿**فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ**

وَاتَّبَعُـوا رِضْـوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْـلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: 174].

لقد عاش الصالحون حياتهم؛ وقد فوَّضوا أمرهم إلى الله تعـالى.. ووضـعوا حـوائجهم بين يــدي من لا تأخــذه ســنة ولا نــوم؛ فاطمــأنت النفــوس.. وارتــاحت من تعب الالتفات لغير الله تعالى.

* وقـال عمر بن الخطـاب ﷺ: «ما أبـالي على أيِّ حــال أصــبحت، على ما أحب، أو على ما أكــره، لأني لا أدري الخــير فيما أحب، أو فيما أكراه».

* وقــال علي بن بكــار: شــكا رجل إلى إبــراهيم بن أدهم كــثره عيالــه، فقــال له إبـراهيم: «يا أخي، انظر كل من في منزلك ليس رزقه على الله، فحوِّله إلى منزلي».

* وقـال عـامر بن عبد قيس رحمه اللـه: «ثلاث آيات من كتاب الله عزَّ وجلَّ اكتفيت بهنَّ عن جميع الخلائق.

أولهنَّ: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْــكَ اللَّهُ بِضُــرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْـرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْـلِهِ يُصِـيبُ بِـهِ مَنْ يَشَـاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

والآية الثانية: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

والثالثة: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾».

* وقال وهيب بن الورد رحمه الله: «لو كانت السماء نحاسًا والأرض رصاصًا، واهتممت برزقي لظننت أني مشرك».

* وقال أبو حازم رحمه الله: «وجدت الدنيا شيئين: شيء هو لي، وشيء هو لغيري. فأما الذي هو لي: فلو طلبته قبل أجله بحِيَل السماوات والأرض لم أقدر عليه. وأما الذي هو لغيري: فلم أصبه فيما مضى، ولم أرجه فيما بقى، يمنع رزقي من غيري؛ كما يمنع رزق غيري مني, ففي أي هذين أفني عمري؟!».

* وقال رجل لحاتم الأصم رحمه الله: من أين تأكل؟ فقال: **﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾** [المنافقون: 7].

أخي المسلم: ذلك طرف من حياة

الصـالحين؛ الـذين امتلأت قلـوبهم بالتوكل على الله تعـالى..واليقين الصـادق؛ أن الله تعالى بيده الحكم والأمر.

فأين أنت من هذه العقيدة الراسخة؟!

وإيَّاك أيها العاقل أن تكـــــون من أولئك الذين ضـعفت في نفوسـهم عقيـدة التوكل على الله تعالى فتراهم؛ حيارى.. متخبطين.

فحاسب نفســـك.. وأوقفها على هـــذه المحطة المهمـــــة.. ولا تغفل تعهـــــدها وتقويمهـــا؛ كلما أحسست ميلاً عن طريق التوكل على الله تعالى.

وإيَّاك أن تفهم أن من أخذ بالأسباب فإنَّ ذلك ينافي التوكل.

فـــإنَّ من أخذ بالأســباب الموصـــلة إلى مسبباتها؛ فإنّ ذلك لا يقدح في توحيـده؛ بل إن ذلك من كمـال التوكل على الله تعـالى، ولكن الركون إلى الأسـباب والالتفـات إليها دون المســبب تبـارك وتعــالى؛ فهو الــذي يقدح في التوحيد.

قـــــــال ابن القيم: «التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، وينــدفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يســتقم معه التوكل، ولكن من تمـام التوكـل؛ عـدم

الركــون إلى الأســباب، وقطع علاقة القلب بهــا، فيكــون حــال قلبه فيامه بالله لا بهــاء، وحال بدنه قيامه بها، فالأسباب محل حكمة الله وأمــره ونهيــه، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبودية السباب إلا على ســاق التوكــل، ولا يقــوم ســاق التوكل إلاَّ على قدم العبودية».

قال إبراهيم الخــواص رحمه اللــه: «أدب التوكل ثلاثة أشــياء: صــحبة القافلة بــالزاد، والجلوس في الزروق بالزاد، والجلوس في المجلس بالزاد».

أخي المسلم: التوكل على الله تعالى؛ صفة أوليــاء الله تعــالى.. وحزبه المفلحين.. فاحرص أن تكون واحدًا من المتوكلين على الله تعــالى.. الــواثقين به تبــارك وتعــالى.. المفوِّضــين أمــورهم إليه عز وجــل.. يســهُل أمرك.. ويحالفك التَّوفيق والظّفَر.

قــال رســول الله ﷺ: «**لو أنَّكم تــوكلتم على اللـــه حـــقَّ توكله لـــرزقكم كما يــرزق الطــير، تغــدو خماسًــا، وتــروح بطانًا**» [رواه ابن ماجه وغيره/ صــحيح ابن ماجه للألباني: 3377].

وقال رسول الله ﷺ: «**من نزلت به فاقةٌ فأنزلها بالناس؛ لم تُسَدَّ فاقتُهُ، ومن نزلت به فاقةٌ، فأنزلها بالله؛ فيوشك الله له برزقٍ عاجل أو آجلٍ**» [رواه الترمذي وغيره/ صحيح الترمذي للألباني: 2326].

أخي المسلم: ما أظنك تختار على الثقة بالله الثقة بغيره.. فهو تبارك وتعالى العليم بما يصلحك.

فلْتقبل على ربك تعالى؛ متوكلاً.. مستعينًا.. راجيًا.

فهو تبارك وتعالى كهفك إذا أحاطت بك الشدائد..

وأملك إذا ضاقت عليك المخارج.. وسلواك إذا نزلت بك الأحزان.. وعضُدك إذا كادك العدو..

من اعتصم به أفلح.. ومن طلب ما عنده أنجح..

فلا تطرقنَّ إلاَّ بابه.. ولا تتوكلنَّ إلاَّ عليه تبارك وتعالى..

ولا يفوتك أيُّها المسلم أن تكون من الفائزين بثمار التوكل على الله؛ التي يفوز بها المتوكلون في الدنيا والآخرة..

فـإذا اعتصم سـواك بغـير الله تعـالى.. فكُن معتصمًا بالله تعالى.

وإذا وثق غــيرك بــالمخلوق.. فكُن واثقًا بالخالق عز وجل..

فالله تبــارك وتعــالى وكيل الصــادقين.. وأمل المخلصـين.. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُـوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23].

والحمد لله تعالى، والصلاة والسلام على النبي محمد وآله والأصحاب.